الخطاب الشعري عند الشعراء الجزائريين الشهداء
عبد الكريم العقون أنموذجا - دراسة لسانية وصفية –

الطالب: محمد بن علي رقاني
إشراف أ.د/ عبد القادر قصاصي
جامعة أدرار

الملخص: ظل شعر الشهيد الجزائري شهادة تاريخية لتاريخ الجزائر، وصرخة في وجه المستدمر الفرنسي؛ لأن الشاعر الشهيد كان يرفض الاستدمار والذل والهوان فرفض كل المشاريع الفرنسية واختار الدفاع عن شرف وطنه وعزة الجزائر وكرامتها ، حيث لجأ الشاعر الشهيد عبد العقون إلى استعمال خطاب شعري يمتاز بلغة شعرية رصينة وأسلوب بديع، ملونا أوزان شعره ببحور خليلية متعددة، فجعل من شعره سلاحا لمواجهة الاستيطان الفرنسي مما جعل المستدمر يستهدفه، إلا أن الشاعر الشهيد لم تثن عزيمته بل واصل في عمله النبيل دفاعا عن وطنه مقدما روحه فداء للوطن، وذلك بعدما قضى أشهرا في زنزانته، ومن خلال هذه المقالة نود الوقوف على الخطاب الشعري للشاعر الشهيد أنموذجا للشعراء الشهداء الجزائريين كالربيع

Abstract: The poetry of the Algerian martyr remained a historical witness for the Algerian history, and a strong cry against the French colonization because the poet martyr refused humiliation and all the French projects. He chose to defend the honor and dignity of the motherland. For example، Abdelkarim El-Aggoun used a poetry discourse characterized by eloquence and a wonderful style. His poetry was considered as a weapon to fight against colonialism which made him a target to the French colonizers. This French attitude did not disable him to continue his noble mission. He sacrificed his soul to defend his mother land after he has spent months in prison cell. The article sheds light on the poetic discourse of the martyr poet as a sample of the other Algerian martyr poets، such as Boushama Elrabi.

توطئة:

يعد الشعر الجزائري صفحة هامة من الشعر العربي ، إذ لا يقل شأنا من حيث الكم و النوع عن صنوه في المشرق ، لكن الظروف الاستعمارية العصيبة التي مرت بها الجزائر حالت دون إلقاء الضوء عليه، و الفرص التي أتيحت للشعر الجزائري قليلة جدا، إذا ما قورنت بالتي أتيحت للشعر المشرقي، ويعتبر الاستعمار الفرنسي أخبث استعمار عرفه التاريخ؛ لأنه لم يكتف باستعمار الأرض بل سعى إلى سياسة التجهيل، وفرض الحصار والمضايقات على المدارس التعليمية حتى يجد فرصا سانحة لمخططاته، إلا أن الأحوال السياسية و الاجتماعية كان لها دور كبير في الإنتاج الشعري ، لهذا فإن تلك الحقبة الاستعمارية عرفت فيها الجزائر الكثير من الشعراء منهم المشهور و المغمور الذي لم تتناوله أقلام الباحثين، و الدارسين، فاتخذ هؤلاء الشعراء الكلمة سلاحا للدفاع عن وطنهم، و واصلوا مشوارهم الشعري حتى سقط البعض منهم في ميدان الشرف شهيدا، ومن هؤلاء الشعراء الشهداء : الربيع بوشامة، و عبد الكريم العقون.

أفرزت فترة الاستعمار في الجزائر العديد من الدلالات والكثير من التحديات، وظل النور يسري ويتسلل رغم تراكم الظلام، وأثبت الجزائر للاحتلال أنها عربية إسلامية، وأن الهمة العالية هي التي تحررها من كل الاستعباد، فالجسم الذي يقاوم المرض لا يمكنه الموت، لذا ركب الشعراء الجزائريون أفراس النور ومنهم الشاعر الشهيد، إنه الشاعر عبد الكريم العقون، وهو واحد من أولئك الذين استعملوا الكلمة التي يحسب لها الاستعمار ألف حساب، فكانت الكلمات تندلع وتنطلق كالرصاص ولا تتوقف إلا بعد أن تحقق هدفها، فتعمل على شحن شعور الرجال ودفعهم إلى الموت والوقوف في وجه الاحتلال، وكشف وجهه الحقيقي الذي لا يظهره، و من أجل نقل الصورة الحية وجعلها مؤرخة حتى يتعرف عليها الأجيال عبر التاريخ، و لقد صنع الشعراء الجزائريون الملاحم والتشويق،

فهم نسور تستوطن القمم العلياء، وبخاصة الشهداء منهم كما هو الحال عند عبد الكريم العقون.

مفهوم الخطاب : جاء في معجم الوسيط الخطاب الكلام، و في لسان العرب "خطب فلان إلى فلان فخطبه، و أخطبه أي أجابه والخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[1] إذن يشير ابن المنظور إلى أن الخطاب هو الكلام المتبادل بين المتخاطبين، كما ورد اللفظ في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها قوله تعالى:"فقال أكفلنيها و عزني في الخطاب .."[2]و قوله :" وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .."[3] و قوله أيضا :" واتيناه الحكمة و فصل الخطاب ..."[4] .

أما في الاصطلاح فالخطاب عند الآمدي هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ، ويعتبره أحمد المتوكل:" كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية و ظروفه المقامية"[5]، يشير أحمد المتوكل إلى أن الخطاب تحكمه الظروف المقامية أو المكان و البنية و الوظيفة و القصد، ويتنوع الخطاب بحسب الغرض الذي يهدف إلى تحقيقه فمنه الخطاب السردي ، والخطاب الحجاجي، و الخطاب الوصفي .

إن تحليل الخطاب مستوى من مستويات الدرس اللغوي الحديث، حيث يهتم بدراسة النصوص المحكية أو المكتوبة لأن اهتمام الباحثين و أنظارهم في العصر الحديث صارت منصبة على تحليل النص لأجل معرفة الاتساق و الانسجام الفنيين في النص حسب السياق المستعمل، مع العلم أن تحليل الخطاب حاول تجاوز نطاق الجملة ليقف عند مستوى النص لذا عرفه بعضهم

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب، ج2، ص275.

[2] – الآية 23 من سورة ص.

[3] – الآية 63 من سورة الفرقان.

[4] – الآية 20 من سورة ص.

[5] – أحمد المتوكل : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط (د ، ط)، (د ، ت) ، ص16،17.

بقوله:"التحليل اللغوي للخطاب سواء كان محكيا أو مكتوبا، ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النص مهما كان حجمه، ويهتم هذا الميدان أيضا بدراسة اللغة في سياقها "[1]، و العلاقة بين تحليل الخطاب و التداولية وثيقة جدا؛ لأن كل منهما يهتم بدراسة النص وتحليله وفق مخطط العملية التواصلية و مقصدية الخطاب و السياق الذي يرد فيه .

عبد الكريم العقون نشأته و عوامل نبوغه:

هو عبد الكريم بن المسعود بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن المسعود بن أحمد بن منصور ويلقب بالعقون [2]، ولد سنة 1918م بقرية العقاقنة بلدية برج الغدير ولاية برج بوعريريج، ينحدر من أسرة علمية محافظة فوالده حفظ القرآن وأخذ الفقه واللغة، وأما جده لأمه عمار بن الزيوش فكان من القراء المجودين، وأمه كانت تحسن القراءة والكتابة وتحفظ من القرآن ثلاثة أرباع، لذا لقبها الشيخ سعيد بن الأطرش بالسيدة إجلالا وإكبارا لما في جوفها من القرآن، ولما كان عبد الكريم الابن البكر عند أبيه دفعه ذلك إلى السعي في تعليمه منذ نعومة أظافره، وألحقه بالكتاتيب لأجل تعلم القرآن، فأخذ القرآن عن الشيخ العربي بن العدوي، و واصل حفظه على والده، ثم راجعه على الشيخ علي بن عبد الرحمن، وأخذ يتردد على قرية أولاد سيدي منصور لدراسة مبادئ اللغة والفقه على فارسها الشيخ موسى الأحمدي نويوات[3]، وبعد أن اشتد عوده في العربية وحفظه للقرآن الكريم التحق بزاوية بن داود المشهورة التي خرجت علماء أجلاء مثل عبد

[1] – جماعة من المؤلفين : مقدمة في اللغويات المعاصرة ، دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ،ط3 2006 ، ص200 .

[2] – ينظر: الشريف مريبعي شعر عبد الكريم العقون – جمع و تحقيق ودراسة – ، الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر 2007، ص 13 حيث يرى مريبعي أن هذا اللقب من وضع الإدارة الفرنسية عند ضبطها للحالة المدنية، و ينطق قاف العقون بالقاف التي فوقها ثلاث نقاط (ڤ) .

[3] – هو شاعر و أديب جزائري و لد في: 01/15/ 1903 بالطبوشة ولاية المسيلة ، وله ديوان بالفصحى و آخر بالعامية ، له مسرحية شعرية بعنوان "أبو مندوف" ، وابداعات نثرية في المسرح و القصة أصيب بمرض ألزمه الفراش وتوفي في 1999/02/17م .

الرحمن الديسي، وقبل أن يتم العقون العقد الثاني تزوج إلا أن هذا الزواج لم تدم عشرته طويلا، ولعل السبب في نظر الدكتور مريبعي يرجع إلى أنه لم يكن عن رغبته حيث يقول:"... ويبدو أن زواجه هذا لم يكن عن سابق رغبة، ومحبة بل هو زواج فرضته عادات المجتمع الجزائري الريفي آنذاك" وبعدما وقع الطلاق بين الزوجين توجه العقون إلى قسنطينة لمواصلة مشواره العلمي، فاستقى فيها شيئا من العلم والمعرفة على يد المصلح الكبير والعلامة النحرير الشيخ عبد الحميد بن باديس في الفترة ما بين (1933 _ 1936) ومن قسنطينة ارتحل إلى تونس والتحق بجامعها العام الزيتونة، وكان ذلك بين سنتي (1936 _ 1939) ليعود إلى أرض الوطن سنة 1939 بشهادة التحصيل.

عاد الشاعر الشهيد إلى أرض وطنه وعلى التحديد إلى قرية العقاقنة، فاستقبل استقبالا حارا واحتفت أسرته بتحصيله، وظل يعلم أبناء قريته لبضعة أشهر في الكُتَّاب، ثم انتقل إلى مدينة برج بوعريريج، ليعلم بمدرسة التهذيب ومع سنة 1941 انتقل إلى العاصمة عند خاله للحصول على رخصة من السلطات الفرنسية تخول له التعليم فتم له ما أراد، و استمر يعلم ويوعظ لمدة 15 سنة، وقد شغل وظيفتين متلازمتين هما: التعليم حيث كان يعلم الناس في الكُتَّاب، والوظيفة الثانية هي الإمامة فكان يؤم الناس في صلواتهم.

يعد الشاعر عبد الكريم العقون "مقلاً في شعره"[1] حسب نظر الدكتور الشريف مريبعي لأن حياته الفنية دامت حوالي 12 سنة، وإنتاجه لم يتجاوز 50 نصا ، وقد يعود السبب في قلة شعره إلى ما قامت به زوجته ، حيث أحرقت ما تبقى من شعره، بعد إلقاء القبض على زوجها من طرف القوات الاستدمارية خوفا من إدانة زوجها، فأغلب الظن أن شعره الذي وصلنا في مجمله هو ذلك الشعر المبثوث في الجرائد خاصة البصائر، ولم يكن العقون في معزل عن الحراك السياسي والنقابي، لأن شاعريته أهلته لحمل هم وطنه وحينما اندلعت ثورة نوفمبر المباركة كثف من

[1] – المرجع نفسه ، ص24 .

نشاطه الذي تمثل في التحسيس بالثورة، وشرعية الجهاد ومواصلته إلى غاية تحقيق الهدف المنشود، لكنه لم "يكن بعيدا عن عيون البوليس الفرنسي وأعوان فرنسا، فترصدوا حركاته وسكناته وانتهت المراقبة بمداهمة بيته ليلا، في يوم 15جانفي 1955، وكانت المداهمة بهمجية، وأخذ يستنطق في سجن الكورنيش، وبعد ثلاثة أشهر من الاعتقال طمأن زوجته ووصاها برعاية الأبناء، من خلال رسالة أرسلها لها، وبعد خمسة أشهر بلغت السلطات الفرنسية زوجته باستشهاده ، وذلك بتنفيذ حكم الإعدام في حق الزوج بتاريخ 13 ماي 1959"[1].

الخطاب الشعري عند الشاعر الجزائري الشهيد عبد الكريم العقون :

النص الشعري وحدة متكاملة تتركب من أجزاء تسهم في تماسكه، "فالأساس القوي الذي تقوم عليه القصيدة العربية الحديثة ويمنحها القيمة الفنية اللائقة بها هو تشكيلها تشكيلا مناسبا، ونعني بذلك الإطار الذي يستعار لها في سبيل الكشف عن قيمتها ومضمونها "[2]، وعند دراستنا للنص لاستكناه ظواهره الفنية ففي الأساس نعمد إلى" الأدوات التي يتألف منها المعمار"[3]، والمعمار أي القصيدة تتشكل من الشكل والمضمون، أو المبنى والمعنى أو جانب خارجي والآخر داخلي، يقول الحاوي:" للتشكيل في القصيدة وجهان أحدهما خارجي والآخر داخلي، فالخارجي يعني بناء القصيدة بناء متلائم الأجزاء... أما الداخلي فعناصره متنوعة وعديدة أبرزها عنصر الصورة والموسيقى "[4]، ونود في هذا المقطع الوقوف على بعض العناصر الفنية التي ساهمت في تركيب وبناء نص العقون وقصيدته، كل ذلك لأجل إظهار بعض سمات خطابه الشعري، والوقوف على اللغة الشعرية عنده.

[1] – الشريف مريبعي : شعر عبد الكريم العقون : ص28،29.

[2] – الحاوي ابراهيم: حركة النقد الحديث المعاصر في الشعر العربي، ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت 1984 ص 108 .

[3] – المقالح عبد العزيز: الشعر بين الرؤيا والتشكيل،ط2 ، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق 1985

[4] – الحاوي ابراهيم: حركة النقد الحديث المعاصر في الشعر العربي ، ص 107 .

اللغة الشعرية في شعر العقون:

الشعر ظاهرة لغوية في وجودها، و لا سبيل إليه إلا من جهة اللغة، أي أن الشعر فعالية لغوية فهو فن يرتكز على الكلمة، لهذا تلعب اللغة في الشعر دوراً كبيراً؛ إذ تعتبر بمثابة الألوان في الرسم، فهي التي تلون القصيدة وتكسبها طلاء خاصا، وهي أيضا الأداة التي يكسب بها النص الشعري والشاعر وجوده لهذا " فإن اللغة هي أداة الشعر"[1] ولقد أجمع النقاد على أن "الشعر فن لغوي من حيث الأداة، وهو نشاط اجتماعي من حيث الطبيعة والوظيفة "[2]، وبالتالي وظيفة اللغة في العمل الشعري كما يرى محمد ناصر" لا تقتصر على المعاني الذهنية بدلالتها المعجمية فحسب، وإنما مهمتها الأولى أن تثير الأحاسيس والمشاعر لدى المتلقي بصورها وظلالها وتلك هي الوظيفة الحقيقية للفظة في التعبير الأدبي وهو ما يميزها حقا عن وظيفة اللفظة في التعبير العلمي الذي يهدف إلى تأدية المعنى المجرد بدقة ووضوح "[3]، والبناء الشعري في جوهره يقوم على الفاعلية اللغوية ووظيفة اللغة داخل القصيدة تتمثل في تحقيق التواصل بين أفراد الجنس البشر لقول الجاحظ: " لأجل هذا وجدت اللغة لتكون وسيلة تفاهم دائم وربط بين الإنسان وبني جنسه في توصيل ما تجيش به النفس إلى الآخرين "[4]، لكن اللغة في العمل الأدبي تعتبر المادة الخام لبنائه لأن اللغة هي الأداة الأهم في الأدب وفي القصيدة الشعرية على وجه الخصوص ، ثم إن الأسلوب لا يعني مجرد اللغة كما يقول الدكتور غنيمي هلال: " إذا كان العمل الأدبي بعامة يتوقف على الدقة في الصياغة فإن أولى مميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه....وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به "[5] وبما أن الشاعر يستثمر في قصيدته خصائص

---

[1] – يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا_دراسة فنية تحليلية.ص 363

[2] – وهب رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد ، سلسلة عالم المعرفة، ط1 الكويت 1996، ص24

[3] – محمد ناصر: الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه، ص 281

[4]– محمد علي زكي الصباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ط1، المكتبة العصرية بيروت ،ص 142

[5]– هلال محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، ص 408

اللغة، ويلجأ إلى قوة التعبير لهذا " فإن اللغة الشعرية أكثر دقة وتحديدا "[1] ويعتبر النقاد الشعر استكشافا لعالم الكلمة، و استكشافا للوجود عن طريق الكلمة ويتعامل الشاعر مع ذاته ومع الوجود من خلال اللغة، فاللغة الشعرية هي أول شيء ينبغي علينا الوقوف عنده عندما نتحدث عن الأدب لأن " الشعر هو الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة على السواء،والشعر الذي لا يحقق هذه الغاية الحيوية لا يمكن أن يسمى شعرا بحق "[2]،و حتى يتمكن الشعر من تحقيق التأثير الجمالي والنفسي عند المتلقي لابد له أن يكون خاليا من تنافر الألفاظ " لأن تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام "[3]، وأجود الشعر ما كان "جزلا سهلا، لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه "[4] ومن هنا يتضح لنا أن التفاضل بين الناس والشعر يظهر في الألفاظ ورصفها ونظمها، وأهم ما يميز لغة الشعر هو أن " لغة الشعر ممتلئة بالمحتوى الذي تنقله نقلا أمينا، وتعتبر لغة الشعر لغة فردية .....وهذه الفردية هي السبب في أن ألفاظ الشعر أكثر حيوية من التحديدات التي يضمها المعجم، "[5] أما ما يميز الشعراء كما يقول منيف موسى هو: "أن أهم أهم ما يمتاز به الشعراء هو سيطرتهم على الألفاظ سيطرة تدعو إلى الدهشة "[6] .

.

نستنتج من كل ما سبق أن الألفاظ في اللغة العربية لها قيمة موسيقية، و لها قيمة دلالية معنوية، وهي طيعة لدى الشعراء أشبه ما تكون بالعجينة أو الطين في يد الفخاري يكيفها حسب حالته الشعورية وحاجة المتلقي، لهذا فإن اللغة الشعرية واسعة الدلالة ولفهمها يجب فهم الحالة الشعورية للشاعر، وطبيعة المقام لإدراك وفهم المقال، واللغة الشعرية تتأثر باتجاه الشاعر أو الأديب، يقول الدكتور

---

[1]– عناد عزوان: أصداء دراسات أدبية ونقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2000، ص111

[2] – عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص 174

3 – أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص 160

4 – المرجع نفسه ص 81

5 – عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ،ص 294

6 – منيف موسى: الشعر العربي الحديث في لبنان، ط1، دار العودة، بيروت 1981، ص 24

مريبعي: " على أن الذي لا ريب فيه هو أن اللغة بقدر ما هي نابعة من رؤية الشاعر، خاضعة لقدرته على صياغتها، فإنها تكون أيضا متأثرة باتجاهه الأدبي أو المدرسة التي ينتمي إليها، وروح عصره وبيئته "[1]، وانطلاقا من قول الدكتور مريبعي فإن عبد الكريم العقون ظلت لغته الشعرية تتأرجح بين اتجاهين شعريين هما الاتجاه التقليدي والاتجاه الوجداني مما يجعل المستوى اللغوي في شعره على نمطين ، و سنقف على مجموعة شعرية أو أمثلة شعرية لنوضح من خلالها خصائص اللغة عنده .

حيث يقول في قصيدة نظمها بمناسبة قيام حرب 1948 بعنوان بني العرب هذا يومكم:

ويا شعب ول وجهك الشرق واعتبر	بجامعة العرب الموحدة الركـــب
فثق بمبادئها وكن من جنودهـــا	وخض معها الأحداث جنبا إلى جنب
فيجمعنا دين وخلق وعـــــادة	ومجد تليد لا يميل إلى غـــرب
وما نحن إلا من سلالة يعـــرب	وعبد مناف جدنا وبنو كعـــب[2]

فاللغة المستعملة عند عبد الكريم العقون هي لغة جافة، فكل لفظة تؤدي المعنى المعجمي القاموسي، و في البيت الثاني كانت اللغة نثرية بعيدة عن لغة الشعر، لذا فهي لغة جافة تقريرية اعتمد فيها وبكثرة على الأساليب الإنشائية وبخاصة الأمر مما جعلها تكون أقرب إلى الكلام العادي ولا غرو في ذلك لأن الشاعر تقليدي محافظ مارس الإمامة ردحا من الزمن، و لهذا كله اتسمت لغة شعره بالخطابة، فكان بعيدا عن لغة الشعر التي تحرك الشعور، و العواطف والأحاسيس، فلولا الوزن والقافية لما علمنا أننا أمام شعر، ولعل الحقائق التي نظر إليها الشاعر في واقعه أنسته توظيف الخيال، فراح ينقل الخبر كما هو في الواقع من غير دغدغة للعواطف وإثارة للمشاعر، وهذه اللغة الموجودة في الأبيات

[1] – الشريف مريبعي: شعر عبد الكريم العقون:ص46

[2] – المرجع نفسه ،ص 95

السابقة هي التي تطبع شعره غالبا، حيث يقول في قصيدة يرثي فيها الإمام عبد الحميد بن باديس:

يا كبير الآمال سرت ولم تبـــ ـق لتجني ثمار تلك الجهـــود
قم تأمل بنيك في الشعب تحدو هم لحون من صوتك الممـــدود
وتجدهم رفقة على المبدأ الأســ مى مضوا في طريقهم كالأسود
وتجدهم مجاهدين أبـــــــاة قد أعادوا تراث عهد سعيـــد[1]

ففي هذه الأبيات لازالت اللغة بعيدة عن الشعر بالرغم من أن المناسبة أو الذكرى تتطلب من الشاعر أن يعود إلى تاريخ المصلح بن باديس بخياله ، لكنه استعمل لغة جافة تقريرية وكأنه يسرد أخبارا أو كلمات عادية باستعمالها القاموسي رغم أنه يرثي رجلا فحلا، كان من الواجب استحضار قاموس الخنساء و ابن الرومي ، لكن شتان بين رثاء الخنساء ورثاء العقون و الوزن والقافية هو الذي ميز هذا النص عن النثر، و " شعرية النص تتجلى عندما نحس بالكلمة ككلمة، لا كبديل لشيء أو تفجيرا لانفعال عندما لا تقتصر على الكلمات بتركيبها ودلالتها "[2]، واللغة الشعرية تعتمد على الكلمات الموحية التصويرية؛ "لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء المعاني في لغته التصويرية الخاصة به "[3]، و " لو فقد الشعر الإيحاء والتصوير لفقدت القصيدة روح الشعر"[4] ولعل ما جعل لغة الشاعر تقريرية جافة هو انعدام أو قلة الصور البيانية من استعار وكناية .... فالصورة البيانية التي كانت حاضرة في شعر العقون هي التشبيه، ولم يكن التشبيه الراقي حاضرا بقوة مثل التشبيه التمثيلي (الصوري) أو الضمني، بل اعتمد على التشبيه المبتذل الذي لا يحتاج إلى خيال واسع وسنورد أمثلة لذلك:

*وهذا كنسر في الفضاء محلق وذلك كطير للغناء يــردد

[1] – المرجع نفسه ، ص104

[2] – جودت فخر الدين:شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، ط1، دار الآداب بيروت 1984 ، ص 192

[3] – محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص415

[4] – المرجع نفسه ص 377

وهذا كسيل جارف في طريقــه غثاء ينحط طورا وينحـد[1]

* وهبت كالنسيم أصاب زهرا وأهدى من شذاه لكل ناد[2]

* رسم البشير مشـــــــــع للمجتلي كالهـــــــــلال[3]

فمن خلال الأمثلة السابقة يتضح أن التشبيه عند العقون لم يستعمل فيه خيالا مجنحا، وإنما كانت التشبيهات كلها تشبيهات بسيطة ، وهذا ما يبين و يؤكد المحافظة والتقليد الذي تشبث به العقون، ومما تجدر الإشارة إليه أن شعره كان أقرب إلى المتون التعليمية التي تلقن في الزوايا والكتاتيب، لكن وبإلقاء نظرة على الشعر الوطني أو القومي للعقون تجلى لنا أن الشاعر يملك قريحة شعرية تمتاز بالفخر والاعتزاز، تشبه إلى حد بعيد شعراء العصر العباسي و الأموي من حيث المميزات و الخصائص حيث يقول مريبعي : " ولكنها تتجلى أيضا في المعجم الشعري الذي بنى منه قصائده الوطنية والقومية وما يتميز به هذا المعجم من خصائص هي نفسها خصائص الشعر العباسي والأموي "[4]، أما الطابع العام للغته في الاتجاه التقليدي المحافظ فإن نظرة القدسية و الإكبار للتراث العربي ظلت تلازمه منذ أن بدأ حياته الفنية حتى إلى سنة 1954م ، فقد تكون طبيعة الحياة أنذاك هي التي فرضتها عليه، لأنها كانت تهاب وتحذر من كل جديد وافد وتتشبث بالأصول والتراث، وهذا لا يعني أن لغة الشاعر لم تتغير، بل كان أحيانا يميل إلى الاتجاه الرومانسي ويستخدم اللغة الشعرية الرومانسية ، المتمثلة في جعل الطبيعة ملاذا وأنيسا واستخدم الألفاظ القاموسية الطبيعية والدليل على ذلك قصيدة له بعنوان البحر يقول فيها:

ها أنا اليوم قد وقفت أناجيــ ــك أيا بحر فاستمع لنشيدي

[1] – الشريف مريبعي : شعر عبد الكريم العقون ، ص108

[2] – المرجع نفسه ، ص 114

[3] – المرجع نفسه ، ص137

[4] – المرجع نفسه ، ص49

فكلانا في موقف نتناغـــى بأغان سحرية التردي ـــــــد
إنك اليوم مؤنسي وسميـري يا نجيي في فقر هذا الوجود
سكنت نفسي الحزينة وارتـا حت إلى حسنك البديع الفريد
علها في جوارك اليوم تنسى ما تعانيه من بلاء شديـــد[1]

ففي الأبيات السابقة يظهر لنا أن الشاعر راح إلى البحر ليصرف همه ويستأنس به وهي ظاهرة رومانسية جديدة عند الشاعر لكنها قديمة في الشعر العربي، وحتى يتضح المقال أكثر على رومانسية الشاعر نقف مع قوله :

إن نفسي قد انتشـت بفتاة تضـــــوعـت
بعبيـر محبـــــب أنعش الروح فارتقـت
تطلب الوحي عندها و به الآن ألهمـــت
فهي شعر مرتـــل هز نفسي فأنشـــدت
وهي روض أريجـه ذاد عن نفسي العنت
وهي فجر شعاعـه منه نفسي قد أشرقت
وربيـــــع زهــوره بالشــذا قد تفتقـــت[2]

فاستعمل الشاعر قاموسا طبيعيا ليعبر عن إحساسه اتجاه الفتاة، فمثلا من الكلمات المستعملة " روض، أريج، الفجر، الربيع، الشذا ..." ، استعمل الشاعر اللغة الوجدانية المستمدة من الطبيعة، فلو نزعنا البيت الأول من الأبيات السابقة لما عرفنا أن الشاعر يتغزل وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعض النقاد يظن بأن الشعر الجزائري قبل الاستقلال أو بعد نهاية الحرب العالمية الأولى كان يخلو من الغزل، ولو واصلنا قراءة النص لوجدنا به غزل ماجن يخدش الحياء، رغم أن الشاعر كان ذا ثقافة دينية ويشتغل وظيفة الإمامة ، فمن أمثلة ما وظف: "سبتني بحسنها، سحرتني بعينيها ، ثديين ، ثغر مفلج ...." ولم تكن هذه القصيدة لوحدها في الغزل عند العقون، بل كانت له قصيدة أخرى بعنوان تناديك روحي يقول فيها:

[1] – المرجع السابق ، ص 116
[2] – المرجع نفسه ، ص 98

جمال محياك أسكـرنـــــي وريق ثناياك أنعشنـــــي
وقدك أغرى فؤادي الطمـــو ح وهز شعوري و حركني
ووجهك كالشمس بادي السنا يجدد شوقي ويلهمنـــــي[1]

ولا نندهش من هذا التجديد الذي يلجأ إليه العقون أحيانا فهو كما يقول الدكتور مريبعي يوظف مستويين متباعدين – التقليد والرومانسية – لأنه تقليدي محافظ رومانسي في آن واحد وقد يظهر ذلك أحيانا في النص الواحد ، ويستشهد مريبعي على هذه الظاهرة بنص بجاية الذي يقول فيه الشاعر:

هنا قد ذكرت العهود التي بها كان حماد ليث أجـــم
هنا كان حماد ذا صولـــة بنى مجده بالقنا والقلـــــم
هنا كان حماد في عـــزة يدافع عن غيله من ظلـم
هنا كان حماد يهوى العلا و يبني المعاهد مثل العلم [2]

فالشاعر في هذه الأبيات تقليدي محافظ يفتخر بالحضارة الحمادية مستعملا لغة قاموسية تقريرية جافة موظفا صورا بيانية مبتذلة، ولكنه في نفس النص حينما يتحدث عن بجاية تجد بأنه انتقل من الاتجاه التقليدي إلى الاتجاه الرومانسي فيقول:

بجاية كم شاعر مبـــــــدع تغنى بحسنك عذب الكلـــــم
وهام بواديك مستلهمـــــــا خريرا كترتيل شعر نظـــــــم
بد اهائما بين تلك الربـــى يدغدغ إحراجها من أمـــــم
تدفق لهفان في نشـــــوة طوى السهل في سيره المزدحم
على ضفتيه غصون الكروم تداعبه في حفيف النســـــم[3]

نلاحظ انتقال الشاعر من لغة جافة تقريرية إلى لغة شعرية موحية، باستعمال لغة عذبة تلائم الوصف لمشاهد طبيعة بجاية الغناء، حاملة لعواطف الشاعر

[1] – المرجع نفسه ، ص 157
[2] – المرجع السابق ، ص 137
[3] – المرجع نفسه، ص 137

ومشحونة بالأحاسيس والمشاعر، وهذا دليل على أن الشاعر كان يمزج بين لغتين واتجاهين فيعزف تارة على وتر التقليد وتارة أخرى على لغة وجدانية رومانسية، كما يدل هذا التزاوج؛ أي أنه لم ترتاح للغة الوجدانية الرومانسية لأنه محافظ متشبث بالتقليد .

و تجدر الإشارة في الأخير إلى أن العقون لم يكن موفقا في لغته الشعرية ويعزي محمد ناصر ذلك إلى "الحشد المتتابع من الإضافات والنعوت التي تضفي على القصيدة نغمة رتيبة مملة"[1] ، ولم يكتف محمد ناصر بذلك بل راح يصف ثقافة العقون " بأنها ضعيفة"[2]، لهذا في نظره جاءت اللغة الشعرية عنده جافة قاموسية بعيدة عن الإيحاء والتصوير، ويوافق الدكتور الشريف مريبعي الدكتور محمد ناصر،لكنه يعتبر بأن الضعف لم يكن عند العقون فحسب؛ بل كان في الشعر الرومانسي بعامة، إذ يقول:" وإن كنا نوافق الدكتور ناصر على هذه الملاحظة فإننا لا نعزو ذلك إلى ضعف ثقافة الرجل بقدر ما ترجعه إلى كون هذه الظاهرة عامة في الشعر الرومانسي وقد اثر عن الشابي وهو احد رموز الرومانسية العربية هذا الولع بحشد الألفاظ"[3]، و نوافق الدكتور مريبعي إلى حد بعيد لأن العقون يتمتع بثقافة قرآنية إصلاحية من جهة و مغاربية تشبع بها خلال فترة انتسابه لجامع الزيتونة من جهة ثانية، ضف إلى كل ما سبق فالعقون ابن زاوية، لأنه نهل من زاوية بن داود و زاوية ابن السعدي يوم أن كانت الزوايا تغذي عقول الجزائريين، و تشبعهم بالثقافة العربية الإسلامية لأجل المحافظة على التراث و الهوية، وللعلم فإن العقون متأثر إلى حد الهيام بالشابي، والدليل على ذلك حينما راح ينسج قصائده على نفس النسق الذي نسج عليه الشابي، والقصائد التالية : " يا رفيقي، من وحي البحر ، تباشير الصبح"، خير دليل على تأثره بالشابي، ففي قصيدة يا رفيقي التي يقول فيها العقون:

---

1 – المرجع نفسه، ص 261.

2 – المرجع نفسه، ص 261.

3 – المرجع السابق، ص 54 .

هات ياخدن حياتي نغما يشفي الألـــم
رجعة ترديد أشعار بها يحلو النغـــــم
إنه يحدو بأرواح ظماء تضطـــــرم
تائهات في مجال الخلد نشوى بالحلم[1]

يقول الدكتور محمد ناصر :" ففي قصيدة "يا رفيقي" يقع على الأفكار والصور والألفاظ التي نجدها في قصيدة الشابي التي هي تحت العنوان السابق نفسه "يا رفيقي" والتي سبق الشابي إلى إصدارها بأربع وعشرين سنة"[2] حيث نشرت قصيدة الشابي في سنة 1928 و نشرت للعقون سنة 1952.

في الختام يتضح للباحث من خلال هذه الدراسة أن لغة الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون ظلت تتخلص شيئا فشيئا من التقرير إلى أن صارت لغة تصويرية موحية تحمل شحنة شعورية؛ حيث أصبح ينظر إلى اللغة الشعرية نظرة جمالية إبداعية تصويرية فابتدع لنفسه معجما شعريا يرتبط بدلالات نفسية ووجدانية، فجعل من الوزن والهندسة الإيقاعية مرتكزاً لخطابه الشعري؛ لأنه يعتبر الوزن" الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية "[3]، وعلاوة على هذا فإن الوزن والقافية في خطابه الشعر يمكن اعتبارهما من اظهر العناصر الشكلية عنده، وهما يمثلان الجانب البارز في الخطاب عنده، ونخلص أيضاً من خلال هذه الدراسة إلى أن الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون استخدم سبعة أوزان شعرية وهي في نظرنا نسبة عالية مقارنة بالأوزان المستعملة في الشعر الجزائري الحديث، فالشعراء الجزائريين وبخاصة شعراء الإصلاح والثورة منهم كانت تستحوذ على إبداعاتهم ثمانية بحورها وهي: "الكامل، الخفيف، الرمل، البسيط الطويل، المتقارب، الوافر، الرجز"[4]، وبصفة العقون شاعر من شعراء الإصلاح نهج نهج

[1] – المرجع نفسه ، ص 140
[2] – محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، ص 525
[3]– ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 134
[4]– محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، ص 246.

الشعراء الجزائريين إلا أنه أهمل منها بحر البسيط، الذي كان يحتل المرتبة الرابعة في الشعر الجزائري، و بلغت نسبة استعماله في الشعر الجزائري الحديث 46,71% [1]، وبالجملة فإن عبد الكريم العقون استطاع في خطابه الشعري تكسير رتابة بعض الأوزان ليسرع من إيقاعها البطيء وذلك باستعمال الأوزان المجزوءة، مستثمراً في ذات الوقت والخطاب الزحافات والعلل استثمارا إيقاعيا أسهم في تنامي الحركة الإيقاعية لنصه ولم يكتف بهذا بل حاول التلاعب بالعناصر الإيقاعية لكونها تلعب دروا أساسياً في بناء نصه وخطابه الشعري.

قائمة المصادر والمراجع:

*– **القرآن الكريم رواية حفص** .

1– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط(د،ط)، (د،تا).

2– جماعة من المؤلفين : مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط3 2006.

3– جودت فخر الدين: شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، ط1، دار الآداب بيروت1984.

4– الحاوي ابراهيم: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت1984.

5– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد قزقزان، ط1، دار المعرفة، بيروت1988.

6– الشريف مريبعي: شعر عبد الكريم العقون – جمع وتحقيق ودراسة– الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر2007.

7– شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، ط2، دار المعرفة، القاهرة1998.

[1]– المرجع نفسه ، ص 270.

8- عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة1992.

9- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، ط3، دار الفكر بيروت1996.

10- عناد عزوان: أصداء دراسات أدبية ونقدية، منشور اتحاد الكتاب العرب، دمشق2000.

11- محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، (د،ط)، مطابع الشروق، بيروت1999.

12- محمد علي زكي الصباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ط1، المكتبة العصرية بيروت.

13- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة بيروت، لبنان1982.

14- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ط1، دار الغريب بيروت1985.

15- مقالح عبد العزيز: الشعر بين الرؤيا والتشكيل، ط2، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق1985.

16- ابن منظور: لسان العرب، ط3، دار صادر1994.

17- منيف موسى: الشعر العربي الحديث في لبنان، ط1، دار العودة، بيروت1981.

18- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق مفيد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

19- وهب رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، ط1، الكويت1996.